مفهوم القوة والسلطان في القران الكريم
(دراسة موضوعية)

م. د. محمد حسين عبدالله
جامعة السليمانية – كلية العلوم الاسلامية

Authority and Power Concept in the Holly Quran
(Subjective Study)

Ph.D. Mohammed Husain Abdullah
Al Sulaymania University - Islamic science College

The power and authority are two close sets ,one backs up the other, and they mentioned in the Holly Quran to indicate of the capability and vanquish either by body power which gifted by Allah Almighty or by the evidence and proof , and who has tough proof ,his position is tough, and who is tough by Allah in body, this is the tough, the power and authority have many reasons and many sources , and there are of power and authority which was good and there are which was advanced and each of them have it's view, and the reader for this search finds these features in it

Le concept de pouvoir et de l'autorité dans le saint Coran (étude objectif)

P.D Mohammed Hussein Abdullah...
Université Sulaimaniyah - Faculté des sciences islamiques…

Le pouvoir et la domination sont deux forces renforcent mutuellement l'un l'autre et qui étaient mentionnés dans le Coran pour désigner la capacité et l'oppression, soit par la force physique comme un don par Allah- Le plus Haut – soit par l'argument et la prevue, et ce lui que l'autorité de son argument devenait forte, sa position était par consequent très forte, et ce la signifie que celui qu'Allah lui donnait une force physique, c'est lui alors qui est fort, et pour le pouvoir et la puissance physique il ya plusieur raisons et de ces deux sont parfois loués ou de position avancée et pour chacun son cible, et le lecteur de cette recherché y trouvera sans- doute ces contenus .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

مفهوما القوة والسلطان في القران الكريم من المفاهيم التي اخذت حيزاً كبيراً من البحث، لانهما من الامور التي يتداولها الناس في حديثهم، ولكن دراستهما دراسة موضوعية لم تحض باهتمام كبير فالبحث فيهما قليل، ان لم نقل انه يكاد يكون غير موجود، ماعدا بعض الاشارات اليهما في التفاسير او كتب اللغة وهذا الامر دعاني الى ان ادرسهما دراسة موضوعية تكون بداية لدراستهما بصورة موسعة من احد طلبة الدراسات العليا ففيهما من المادة العلمية الشيء الكثير الذي يجزئ ان يكون عنواناً لاحدى رسائل الماجستير في علم التفسير.

وقد قسمت البحث الى اربعة مباحث سبقتها مقدمة وتمهيد وضمت فيه معنى القوة والسلطان في اللغة والاصطلاح واخواتهن في اللغة.

وتناولت في المبحث الاول ايات القوة والسلطان دراسة موضوعية

المبحث الثاني انواع القوة في القران الكريم.

المبحث الثالث القوة والسلطان المذمومان والمحمودان في القران الكريم

المبحث الرابع نماذج من انواع القوة والسلطان التي تصبح نقمة او نعمة في القران الكريم.

ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها النتائج التي توصل اليها البحث والله اسأل ان يوفقنا لما فيه الخير والسداد.

التمهيد

١. القوة في اللغة:

قال محمد بن احمد بن احمد الازهري (ت٢٨٢هـ) فقال: ((وقد قَوِيَ الرجل والضعيف يَقْوَى قوة فهو قَوي))[١] وذكر اسماعيل بن حماد الجوهر (ت٣٩٣هـ) ان القوة ضد الضعف، والقوة، الطاقة ورجل قوي شديد القُوى اي شديد أَسْر الخَلْق[٢]، ولم يخرج المعنى الذي ذكره ابن فارس (ت٣٩٥هـ) في مقاييس اللغة ومجمل اللغة[٣] عن هذا الذي ذكر، اما الراغب الاصفهاني (ت ٤٢٥هـ) فذكر عدة معانٍ للقوة، وهي في مجملها تدور في معنى القدرة والأقدار[٤]، وذهب ابن سيده (علي بن اسماعيل ت ٤٥٨هـ) الى ان ((القوة نقيض الضعف ... يقال: قَوّى الله ضعفك اي ابدلك مكان الضَعْفِ قوة))[٥] وهذه المعاني بمجموعها توضح ان القوة هي الطاقة تمتلكها المخلوقات سواء كانت خلقية ام ممنوحة والايات القرانية الكريمة استعملت هذا المعنى بشكل واسع على ما ستوضحه في الصفحات القادمة.

٢. السلطان في اللغة

ذكر الزجاج (ابراهيم بن السري ت٢٤١هـ) ان من معاني السلطان: الحجة ذكر ذلك في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ غافر ٢٣ فقال: ((وسلطان مبين اي حجة ظاهرة))[٦].

وذكر الازهري ان ((السلاطة بمعنى الحدة))[٧] والسلاطة هي اصل كلمة السلطان، وقال ابن فارس في مجمل اللغة ((السلاطة من التسلط. وهو القهر

---

(١) التهذيب مادة (قوا).

(٢) الصحاح للجوهري مادة (قوا).

(٣) مقاييس اللغة المادة نفسها، وجمل اللغة مادة (قوى) بالالف المقصورة

(٤) مفردات الفاظ القران ص ٦٩٣ – ٦٩٤.

(٥) المخصص مادة (قوا)

(٦) معاني القران واعرابه ٨٢/٤.

(٧) التهذيب مادة (سلط).

والسلطان من ذلك، والسلطان الحجة))[١]. وقال الراغب الاصفهاني: ((السلاطة التمكن من القهر يقال سلطه فتسلط))[٢]. اما ابو بكر عبدالقادر الرازي (ت٦٦٦هـ) فيقول: ((السلاطة: القهر، وقد سلطه الله عليهم تسليطاً فتسلط عليهم والسلطان الوالي... والسلطان ايضاً الحجة والبرهان))[٣]، ونقل ابن منظور (ت٧١١هـ) عن الليث قوله: ((السلطان قدرة الملك، وقدرة من جُعل ذلك له وان لم يكن ملكاً))[٤].

القوة في الاصطلاح:

اخذت هذه الكلمة معنى واسعاً في الاصطلاح، اذ اختصت في علوم معينة مثل علم الفيزياء والعلوم السياسية والاقتصادية واضيفت الى كلمات اخر فاصبحت مصطلحات مثل القوة الاقتصادية، والقوة المالية، وقوة الرفض وغير ذلك من المصطلحات التي لامجال لذكرها.

اما في المجال القراني فان معناها الاصطلاحي يقترب من معناها اللغوي[٥]، فعرفها الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) بانها كمال صلابة الاعضاء لاداء الاعمال التي تراد منها[٦]، ولكن هذا التعريف محصور في القدرة البشرية ولم يتعرض للقوة الالهية، وبالامكان ان نعرف القوة بانها (القدرة الذاتية او المكتسبة التي تستطيع انجاز عمل معين) وهذا التعريف يوضح ان القدرة على نوعين:

١.القدرة الذاتية مثل قدرة الله تعالى في خلق مايشاء الى مايشاء.

٢.القدرة المكتسبة مثل قدرة الانسان والحيوان على فعل الامور التي يحتاجها والتي تبدأ من قوته في التنفس والرضاعة في اول لحظة ولادته الى زمن وفاته

---

(١) مجمل اللغة مادة (سلط).

(٢) مفردات الفاظ اقران ص ٤٢٠.

(٣) مختار الصحاح مادة (سلط)، وقد ذكر هذا المعنى النحاس في معاني القران ينظر ١/١٧٠، ١/٢٥٥.

(٤) لسان العرب مادة (سلط)

(٥) ينظر مثلاً التعريفات للشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) ص٢٩١، الكليات لابي البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ) ص٦١٢، كشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوي ص ١٣٢٤.

(٦) ينظر التحرير والتنوير ١٠/٤٤.

وهي مكتسبة، لان الله تعالى هو واضعها فيه وميسرها له، ولهذا قيل: (كل ميسر لما خلق له).

السلطان اصطلاحاً

بالامكان تعريف السلطان من خلال معانيه اللغوية بقولنا: هو (القدرة على القهر والتمكن بالحجة) وبذلك يشمل السلطان الالهي فالله ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ الانعام:١٨ وهو صاحب الحجة والبرهان يرسلها الى من يشاء من عباده، كما انه يشمل سلطان البشر؛ وذلك لقدرته على قهر اخيه الانسان بالقوة وتمكنه من الزامه الحجة.

المبحث الاول

آيات القوة والسلطان دراسة موضوعية

ان الدراسة الموضوعية للموضوعات القرانية من الدراسات المهمة على الرغم من صعوبة الخوض فيها، وذلك لتشعبها وتداخل الموضوعات فيها من جهة، ومن جهة اخرى كون بعض المواضيع اسباباً لاخرى في حالة وكونها نتائج لموضوعات اخرى في حالات ثانية، وهذا ادى الى صعوبة الدراسة الموضوعية.

ولابد قبل ان ندخل في هذه الدراسة علينا ان نوضح ماالمقصود بالدراسة الموضوعية، ولاسيما انه منهج مهم في مناهج الدراسات العلمية الحديثة.

الموضوعية: الموضوع (object) هو الشيء الموجود في العالم الخارجي وكل مايدرك بالحس، ويخضع للتجربة، وله اطار خارجي ويوجد مستقلاً[١] وعلى هذا فالموضوعية (objectivism) هي التعبير عن الاشياء كما هي موجودة في عيانها الخارجي من غير تدخل او تفسيرات تخرجها عن مضمونها الحقيقي المتحقق في الخارج فعندما ندرس القوة او السلطان فاننا ندرسهما على انهما موضوعان متحققان

(١) ينظر مباحث في التفسير الموضوعي ص ٥٢، ومنهجية البحث في التفسير الموضوعي ص ٤٣.

في الخارج وهناك من يتصف بهما، ولكلمتي –القوة والسلطان– كلمات قريبة اليهما في المعنى فلابد من توضيح المعاني ومقدار الاتصال بهما:

اولاً: اخوات كلمة قوة

عندما نقلب صفحات المعجمات اللغوية نجد اشتراكاً معنوياً بين كلمة القوة وكلمات اخر هن اخوات كما اطلق عليهن (د. احمد عبيد الكبيسي) في معجمه الجميل الكلمة واخواتها في القران الكريم[١] وسوف نذكر بعضاً منها وهذه الكلمات مقاربة في معناها لكلمة القوة، ولكن تفترق عنها ببعض الخصائص المعنوية منها:

١. **كلمة اثخن:** ثخن الشيء ثُخونة وثَخانة وثخناً فهو ثخين: كثف وغلظ وصلُب[٢] وهذه الكلمة من الكلمات القريبة في موضوعها من القوة والسلطان فهي تحتوي على معنى القوة ومعنى السلطان وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ ﴾ محمد:٤ وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ الانفال: ٦٧. قال الجرجاني: ((الى ان يثخن القتل في اعدائه ويحتمل الى ان يتمكن في الارض التقتيل))[٣] ويتضح من هذا ان الاثخان هو منتهى القوة والسلطان وذلك لدلالة الكلمة على شدة التقتيل.

٢. **كلمة ازر:** وهي القوة الشديدة وقوله تعالى: ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴾ طه ٣١ اي ظهري[٤] وهو كناية عن التقوية، وآزرت فلانا اي عاونته[٥]. وهذا المعنى من المعاني القريبة من معنى القوة اي قوي ظهري به، وقوله تعالى: ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ الفتح: ٢٩ اي فعاونه وقواه.

---

(١) المنشور على صفحات الانترنيت والذي كان اصله برنامج تقدمه قناة دبي الفضائية.

(٢) ينظر الصحاح في اللغة، ولسان العرب مادة (ثخن)

(٣) درج الدرر ٨٥٣/٢.

(٤) درج الدرر ١١٩٦/٣.

(٥) لسان العرب مادة (ازر).

٣. **اعان:** وهي مأخوذة من (عون) الذي معناه الظهير[١] على الامر، والاعانة المساعدة وهي في معناها العام تدل على القوة والمساعدة كما في قوله تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ الكهف ٩٥ وهنا حدد معنى الاعانة بالقوة حصراً ((بالالاف من الرجال))[٢]

٤. **أَيْد:** آدَ الرجل يئيد ايداً: اشتد وقوي، والأَيْدُ والآد: القوة الأيد والآد جميعاً القوة[٣]، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ﴾ الذاريات: ٤٧.

٥. **بأس:** ((البأس الشدة في الحرب))[٤] وذكر صاحب الصحاح: البأس العذاب... والبئيس، الشجاع قال تعالى: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ اي شديد[٥] وقال ايضاً ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ الحديد:٢٥ اي فيه من القوة مايقيكم الشدة في الحرب.

٦. **بطش:** البطش الاخذ عنوة والعنف والقوة[٦] وفي القران الكريم ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ الشعراء:١٣٠ وبطش بالشيء مسكه بالقوة.

٧. **ثقل:** وهو الحِمل الثقيل[٧] وهو نقيض الخفة وذكر الراغب الاصفهاني: كل مايترجح على مايوزن به، او يقدر به يقال: هو ثقيل قال تعالى: ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ ولايرفع الثقيل الا بالقوة.

٨. **الشدة:** ((الشدة: الصلابة وهي نقيض اللين))[٨] ((وتقول شد الله ملكه وشدده

---

(١) لسان العرب مادة (عون).
(٢) درج الدرر ١١٦١/٣.
(٣) الصحاح، ولسان العرب مادة (أيد).
(٤) اللسان، مادة (بأس).
(٥) الصحاح، مادة (بأس).
(٦) اللسان مادة (بطش).
(٧) المصدر نفسه مادة (ثقل).
(٨) اللسان مادة (شدد).

قواه))[١] شديد القوى: عظيم القدرة وفي القران الكريم ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ النجم: ٥.

٩. **الشوكة:** وهو مادق وصلب رأسه[٢] وتعني ايضاً القوة والسلطان وهي كناية عن السلاح[٣]

١٠. **العزة:** ضد الذل، والعزيز القوي[٤] والتعزيز: النُصرة مع التعظيم[٥] قال تعالى: ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ آل عمران: ٢٦.

١١. **غلظ:** الغلظة: الخشونة[٦]، قال تعالى: ﴿ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ التوبة: ١٢٣ اي ليجدوا فيكم خشونة وقوة، وغلظة في قتالهم[٧].

١٢. **المتين:** يقال: ((مَتُنَ: قوي متنه مضار متيناً))[٨] قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾الذاريات:٥٨ والمتن هو صلب الانسان المتمثل بعموده الفقري.

١٣. **مكين:** ذو القدر والمنزلة[٩] قال تعالى: ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ التكوير: ٢٠ والمكين في هذه الاية الذي ((له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة))[١٠].

١٤. **اليمين:** استعملها القران الكريم للدلالة على القوة والقهر والسلطان كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ الزمر: ٦٧ وقوله ايضاً: ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ الحاقة: ٤٥ وقال النحاس ان المراد ((بيمينه: بقوته وانشد:

---

(١) ينظر مفردات الفاظ القران ص ٤٧٠.

(٢) معاني القران للنحاس ٤١٩/١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مفردات الفاظ القران ص ٧٥٨

(٥) ينظر مختار الصحاح مادة (عزز).

(٦) ينظر مفردات الفاظ القران ص ٥٦٤.

(٧) المصدر نفسه ص ٦١٢.

(٨) ينظر مختصر تفسير ابن كثير ١٧٨/٢.

(٩) المصدر نفسه ص ٧٧٣.

(١٠) مختصر تفسير ابن كثير ٦٠٨/٣

اذا مارايةٍ رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

اي بالقوة))[١].

وهذه الكلمات فيها من الدلالة على القوة والقهر والسلطان وهناك كلمات اخر لم نذكرها؛ لانها تدل على هذا المعنى ولكن بطريق المجاز او الكناية او محمولة على المعنى، ولو امعنا النظر في هذه الكلمات التي ذكرناها لوجدنا انها في دلالتها العامة تدل على القوة والقهر، ولكن لكل منها دلالته الخاصة ولهذا قلنا انهن اخوات.

ثانياً: اخوات كلمة سلطان

١. **مَلِك:** هو المُعَز بسلطانه، وماله وجاهه وقد وردت كلمة مَلِك في القران في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾ يوسف: ٥٤ وكذا في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ البقرة: ٢٤٧.

٢. **خليفة:** هو من خلف من كان قبله وسد مسده (والخلافة النيابة عن الغير اما لغيبة المنوب عنه، واما لعجزه، واما لتشريف)[٢] وجاء هذا اللفظ في القران الكريم في قوله تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ ص: ٢٦ وقد قرنه الله تعالى في هذه الاية بالحكم بين الناس.

٣. **حاكم:** هذه الكلمة مشتقه من (الحكم) يقال: (حكم بينهم اي قضى)[٣] وقد وردت الكلمة في القران بصيغة الجمع خمس مرات وكلها مسندة الى الله تعالى كما في قوله: ﴿ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴾ يونس: ١٠٩.

٤. **ولي:** يقال ولي البلد اي حكمه وتسلط عليه، وولي الشيء ملك امره وقد وردت في القران الكريم في ايات متعددة وبصور متعددة واغلبها جاء في معنى اسناد الولاية الى الله تعالى، ووردت مسندة لغيره كما في قوله تعالى: ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ البقرة: ٢٨٢ وقوله تعالى ﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا ﴾ الاسراء: ٣٣.

---

(١) معاني القران ١٠٨٥/٢.

(٢) مفردات الفاظ القران ص٢٩٤.

(٣) الصحاح مادة (حكم).

٥. **زعيم:** الزعيم (الزعم) له عدة معانٍ الا ان ماورد في القران الزعيم بمعنى الكفيل كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾ يوسف: ٧٢ اي وانا به كفيل وجاء في الصحاح: (الزعامة: السيادة وزعيم القوم سيدهم)[١].

٦. **امام:** يقال اما القوم وهو المتقدم لهم ويكون الامام رئيساً[٢] وجاء لفظ الامام في القران الكريم قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ الاسراء: ٧١. وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ البقرة: ١٢٤ وهذا المعنى يدخل في نطاق معنى كلمة سلطان.

(١) الصحاح: مادة (زعم).

(٢) ينظر اللسان مادة (امم).

المبحث الثاني

انواع القوة في القران الكريم

قوة الجسم والبدن:

قال سبحانه مبينا مافي البدن والخِلقة من قوة: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[1].

قـــال الشنقيطي: ((﴿ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ ﴾. . . **وهم قبيلةُ إرمَ المذكورةُ في القرآنِ؛ لأن عادَ بن إرم . . . ولِذَا قال:** ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ **ثم أَبْدَلَ منها فقال:** ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ **قولُه:** ﴿ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ **يدلُّ على عظمةِ أبدانِهم وشدةِ طُولِهِمْ وبدانتِهم وقوتِهم كما هو معروفٌ**))[2].

ولقد ذكَّر نوح قومه بنعمة الله عليهم أن ءاتاهم من قوة البسطة في الجسم فقال: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3]، قال الطبري: ((**وزادكم في الخلق بسطة"، زاد في أجسامكم طولا وعِظَمًا على أجسام قوم نوح، وفي قواكم على قواهم، نعمة منه بذلك عليكم، فاذكروا نعمه وفضله الذي فضلكم به عليهم في أجسامكم وقُوَاكم، واشكروا الله على ذلك بإخلاص العبادة له، وترك الإشراك به، وهجر الأوثان والأنداد**))[4].

---

(١) سورة: فصلت، الاية: ١٥.

(٢) العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ، ج٣/ ص٤٧٣.

(٣) سورة: الاعراف، الاية: ٦٩.

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج١٢/ ص٥٠٥.

ولما كانت بسطة الجسم وقوة البدن امرا معتبرا ومؤثرا في سلوك الناس وطواعيتهم لأَصحاب تلك القوة فقد حبى الله بها من عباده المؤمنين ممن اراد لهم قيادة البشر في فترات من الزمان فقال: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[١].

قال الكرماني: ((**قوله: (وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ) أي علم الحرب، وقيل: عام في العلوم . . . أتاه وحي. (وَالْجِسْمِ) ، كان أجمل رجل في بني إسرائيل وأقواهم. . . إنما سمي طالوت لطوله.**))[٢].

وبعكس اهل العِماية المنكرين لأسباب القوة من البسطة في العلم والجسم كما اخبرنا الله سبحانه في الاية السابقة الذكر، فان اهل الايمان قد ادركوا ذلك وعملوا بمقتضاه فقال الله سبحانه على لسان الفتاة المؤمنة: ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾[٣].

قال مجاهد: ((**فَقَالَتْ لَهُ: {إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} فَقَالَ لَهَا مُوسَى: امْشِي خَلْفِي، وَصِفِي لِيَ الطَّرِيقَ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تُصِيبَ الرِّيحُ ثِيَابَكِ، فَتَصِفَ لِي جَسَدَكِ، فَلَمَّا انْتَهَتْ إِلَى أَبِيهَا، قَالَتْ لَهُ: {يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا: وَمَا عِلْمُكِ بِقُوَّتِهِ وَأَمَانَتِهِ؟، فَقَالَتْ: أَمَّا**

(١) سورة: البقرة، الاية: ٢٤٧.

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج١/ ص٢٢٢.

(٣) سورة: القصص، الايات: ٢٥-٢٦.

قُوَّتُهُ فَإِنَّهُ رَفَعَ الْحَجَرَ وَحْدَهُ، وَلَا يُطِيقُ رَفْعُهُ إِلَّا عَشَرَةٌ، وَأَمَّا أَمَانَتُهُ، فَقَوْلُهُ: امْشِي خَلْفِي، وَصِفِي لِيَ الطَّرِيقَ، لَا تَصِفُ لِيَ الرِّيحُ جَسَدَكِ))[١].

القوة الالهية:

وكذلك قد حبا الله بعض ملائكته الكرام بقوى خَلْقية عـظيمة وذكرها في قرءانه العظيم وما ذاك الا لما لقوة البدن من اعتبار وأثر فقال سبحانه: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ** ﴾[٢].

قال الثعلبي: **((عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى وهو جبريل.**

ذُو مِرَّةٍ قوة وشدّة، ورجل ممرّ أي قوي، قال الشاعر:

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفي أثوابه رجل مزير

وأصله من أمررت الحبل إذا أحكمت فتله، ومنه قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرّة سويّ».

قال الكلبي: وكانت شدّته أنّه اقتلع قريات قوم لوط من الماء الأسود، وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها، وكانت شدّته أيضا أنّه أبصر إبليس وهو يكلّم عيسى على بعض عقاب الأرض المقدّسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه في أقصى جبل بالهند، وكانت شدّته أيضا صيحته بثمود فأصبحوا جاثمين خامدين، وكانت شدّته أيضا هبوطه من السماء على الأنبياء وصعوده إليها في أسرع من الطرف، وقال قطرب: يقول العرب لكل حرك الرأي حصف العقل: ذو مرة، قال الشاعر:

قد كنت قبل لقائكم ذا مرّة ... عندي لكل مخاصم ميزانه))[٣].

فكانت قوة جبريل عليه السلام تذكيرا لكل من الكافرين والمؤمنين بقوة هذا الملك العظيم، فهو تهديد للكافرين وإلفاتٌ لانتباههم الى انه سيحل بهم ما حل باسلافهم على ايدي مثل هذا الملك، وفي نفس الوقت تطمينا لرسول الله والمؤمنين

(١) تفسير مجاهد، ص٥٢٦.

(٢) سورة: النجم، الايات: ٤-٦.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٩/ ١٣٦.

ان جانبهم قوي مكين وان اعداء الاسلام لا يمكن ان ينالوا من هذا الدين فان هذا الملك ظهيره هو واقرانه، قال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[1]، قال الطبري: ((وقوله: (وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) يقول: والملائكة مع جبريل وصالح المؤمنين لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أعوان على من أذاه، وأراد مساءته. والظهير في هذا الموضع بلفظ واحد في معنى جمع. ولو أخرج بلفظ الجميع لقيل: والملائكة بعد ذلك ظهراء.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال: وبدأ بصالح المؤمنين ها هنا قبل الملائكة، قال: (وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ)))[2].

المبحث الثالث

القوة والسلطان المذمومان والمحمودان في القرآن الكريم

أ- منها ان يكون بأس وقوة القوم مسلطة على بعضهم البعض: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾[3].

قال الشوكاني: ((قَوْلِهِ: قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ قَالَ: يَعْنِي مِنْ أُمَرائِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ يَعْنِي سَفَلَتَكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً يَعْنِي بِالشِّيَعِ الْأَهْوَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ قَالَ: يُسَلِّطُ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقَتْلِ وَالْعَذَابِ. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبُو الشَّيْخِ عَنْهُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ قَالَ: عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَئِمَّةُ السُّوءِ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ قَالَ: خَدَمُ السُّوءِ))[4].

---

(١) سورة: التحريم، الاية: ٤.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٣/ ٤٨٧.

(٣) سورة: الانعام، الاية: ٦٥.

(٤) فتح القدير، ٢/ ١٤٤.

وهو من اشد انواع الابتلاء والفتن التي تُبْتلى بها الاقوام، وقد حذر النبي منها كثيرا فقال: ((**إنَّ الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ (وفي روايةٍ: كهيئتِه) يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا؛ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ؛ ثَلاَثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحَجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِى بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، [أَلا تَدْرُون أَىُّ شَهْرٍ هَذَا؟». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الْحَجَّةِ». قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَأَىُّ بَلَدٍ هَذَا». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟». قُلْنَا بَلَى. قَالَ: «فَأَىُّ يَوْمٍ هَذَا؟». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟». قُلْنَا بَلَى. قالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وأعراضَكُمْ وأبشاركُمِ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِى بَلَدِكُمْ هَذَا، فِى شَهْرِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟. قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ! اشْهَدْ، وستَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلاَ فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِى ضُلاَّلاً (وفى روايةٍ: كفَّاراً)؛ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**))[(١)].

بل انه كان من اكثر ما يخافه النبي على امته وتتبين شدة مخافة النبي من هذا الامر من قوله: ((**عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمًا صَلَاةً، فَأَطَالَ فِيهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْنَا -أَوْ قَالُوا-: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَطَلْتَ الْيَوْمَ الصَّلَاةَ! قَالَ: "إِنِّي صَلَّيْتُ صَلَاةَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِأُمَّتِي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَرَدَّ عَلَيَّ وَاحِدَةً، سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَهُمْ غَرَقًا، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَرَدَّهَا عَلَيَّ"**))[(٢)].

وكما مر في الرواية الحديثية السابقة فان الله سبحانه لم يقبل رفع هذه العقوبة عن الامة بدعاء النبي، بل قد اكد الصحابة ايضا انه اشد الاخطار وانه قد وقع حقيقة بين اهل القبلة الواحدة، قال الطبري: ((**حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب**

(١) مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي، ٣/ ص١٠٧- ص١٠٨.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٩٧.

قال، قال ابن زيد في قوله:"قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم" قال: كان ابن مسعود يصيح وهو في المجلس أو على المنبر: ألا أيها الناس، إنه نزل بكم. إن الله يقول:"قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم"، لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحد "أو من تحت أرجلكم"، لو خسف بكم الأرض أهلككم، لم يبق منكم أحد "أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض"، ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث.))(١).

واكد ابن ابي حاتم ما ذكرناه ومن انها اربع خصال وان ثنتين قد وقعتا وبقيت ثنتان فقال: **((عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥] قَالَ: فَهُنَّ أَرْبَعُ خِلَالٍ ، جَاءَ مِنْهُمُ اثْنَتَانِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً: أُلْبِسُوا شِيَعًا ، وَأُذِيقَ بَعْضُهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ، وَبَقِيَتِ اثْنَتَانِ هُمَا لَا بُدَّ وَاقِعَتَانِ: الرَّجْمُ ، وَالْخَسْفُ))**(٢).

بـــ- ومنها ما ذكره الله سبحانه من بعض المعاصي والتي خصَّ شدتها في نفسها بالمذمة فقال: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾(٣).

فيبين الله سبحانه ان امتحان الرجل وفتنته عن دينه واخراجه من ارضه وءالام فراق الاهل والوطن اشد ايلاما واكبر وطئة على القلب واعظم جرما عند الله من قتل النفس، ذكر اصحاب التفسير الوسيط: **((وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ... {الْفِتْنَةُ}: الابتلاء... سبب النزول: أخرج أبو صالح عن ابن عباس - رضى الله عنهما -: أن المشركين صدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الحديبية، وصالحوه على أن يرجع عَامَهُ... ويخلوا له مكة ثلاثة أيام، فيطوف بالبيت ويفعل ما شاء، فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه لعمرة**

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١١/ ٤١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ٤/ ١٣٠٩.

(٣) سورة: البقرة، الاية: ١٩١.

القضاء، وخافوا ألا تفي لهم قريش بذلك وأن يصدّوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام... والمعنى: وقاتلوا في سبيل الله -أي لغرض إعلاء كلمة الله- الذين يبدءُونكم بالقتال دفاعًا عن أنفسكم وحريتكم في أداء العبادة، ولا تعتدوا بقتل النساء والصبيان، والشيوخ المسنين، ومن ألقى إليكم السَّلام، وكف يده عنكم، فإن قتلتموهم فقد اعتديتم وتجاوزتم ما يحل لكم، إن الله لا يحب المعتدين، بل يبغضهم ويعاقبهم... المعنى: واقتلوهم - غير معتدين حيث وجدتموهم: في حل أو حرم، وأخرجوهم من ديارهم، كما سبق أن فعلوا ذلك بكم، حيث أخرجوكم من دياركم، ولم يكتفوا بهذا، بل تناولوا من بقى منكم من المسلمين في مكة: بالتعذيب والتنكيل، ليرتدوا عن الإسلام.

{وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ}: أي بقاؤهم على الشرك، أشد قبحًا من قتلهم في الحرم والشهر الحرام، فلا تبالوا بقتالهم فيه. أو المعنى: والمحنة التي يفتن بها الإنسان: بالإخراج من الوطن والحرمان من المال، والتعرض لألوان القسوة والعذاب - للتأثير في العقيدة - أشد من القتل لاتصال تعذيبها، وتألم النفس بها.

ومن هنا قيل:

لَقَتْلٌ بحَدِّ السيْفِ أَهْوَنُ مَوْقِعًا ... عَلَى النَّفْسِ مِن قَتْلٍ بِحَدِّ فِرَاقِ))[1].

ترغيب القران الكريم بالقوة

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[2]

وقد رغب الله سبحانه في طلب اسباب القوة فقال: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾[3]، وقال: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١/ ٣٠٠- ٣٠١.

(٢) سورة: هود، الاية: ٨٠.

(٣) سورة: هود، الاية: ٥٢.

﴿إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[١]، فلما أَوْجَبَ عَلَى رَسُولِهِ أَنْ يُشَرِّدَ مَنْ صَدَرَ مِنْهُ نَقْضُ الْعَهْدِ، وَأَنْ يَنْبِذَ الْعَهْدَ إِلَى مَنْ خَافَ مِنْهُ النَّقْضَ، أَمَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْإِعْدَادِ لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ. قِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا اتَّفَقَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِصَّةِ بَدْرٍ أَنْ قَصَدُوا الْكُفَّارَ بِلَا آلَةٍ وَلَا عُدَّةٍ أَمَرَهُمُ اللَّه أَنْ لَا يَعُودُوا لِمِثْلِهِ وَأَنْ يَعُدُّوا لِلْكُفَّارِ مَا يُمْكِنُهُمْ مِنْ آلَةٍ وَعُدَّةٍ وَقُوَّةٍ، وَالْمُرَادُ بالقوة هاهنا: مَا يَكُونُ سَبَبًا لِحُصُولِ الْقُوَّةِ وَذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهًا: الْأَوَّلُ: الْمُرَادُ مِنَ الْقُوَّةِ أَنْوَاعُ الْأَسْلِحَةِ.

الثَّانِي:

رُوِيَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَقَالَ: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ» قَالَهَا ثَلَاثًا.

الثَّالِثُ: قَالَ بَعْضُهُمْ:

الْقُوَّةُ هِيَ الْحُصُونُ. الرَّابِعُ: قَالَ أَصْحَابُ الْمَعَانِي الْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ: هَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ مَا يُتَقَوَّى بِهِ عَلَى حَرْبِ الْعَدُوِّ، وَكُلُّ مَا هُوَ آلَةٌ لِلْغَزْوِ وَالْجِهَادِ فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْقُوَّةِ.

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْقُوَّةُ هِيَ الرَّمْيُ»

لَا يَنْفِي كَوْنَ غَيْرِ الرَّمْيِ مُعْتَبَرًا، كَمَا أَنَّ

قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْحَجُّ عَرَفَةُ» وَ «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»

لَا يَنْفِي اعْتِبَارَ غَيْرِهِ، بَلْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْمَذْكُورَ جُزْءٌ شَرِيفٌ مِنَ الْمَقْصُودِ فَكَذَا هاهنا، وَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الِاسْتِعْدَادَ لِلْجِهَادِ بِالنَّبْلِ وَالسِّلَاحِ وَتَعْلِيمِ الْفُرُوسِيَّةِ وَالرَّمْيِ فَرِيضَةٌ، إِلَّا أَنَّهُ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ. وَقَوْلُهُ: وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ الرِّبَاطُ الْمُرَابَطَةُ أَوْ جَمْعُ رَبِيطٍ، كَفِصَالٍ وَفَصِيلٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ رَبْطَ الْخَيْلِ مِنْ أَقْوَى آلَاتِ الْجِهَادِ. رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لا بن سِيرِينَ: إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِثُلُثِ مَالِهِ لِلْحُصُونِ. فَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: يُشْتَرَى بِهِ الْخَيْلُ فَتُرْبَطُ فِي سَبِيلِ اللَّه وَيُغْزَى عَلَيْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ إِنَّمَا أَوْصَى لِلْحُصُونِ، فَقَالَ هِيَ الْخَيْلُ أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

(١) سورة: الانفال، الاية: ٦٠.

وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى تَجَنُّبِيَ الرَّدَى ... أَنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لَا مَدَرُ الْقُرَى

قَالَ عِكْرِمَةُ: وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ الْإِنَاثُ وَهُوَ قَوْلُ الْفَرَّاءِ، وَوَجْهُ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي الْخَيْلَ إِذَا رُبِطَتْ فِي الْأَفْنِيَةِ وَعُلِفَتْ رُبُطًا وَاحِدُهَا رَبِيطٌ، وَيُجْمَعُ رُبُطٌ عَلَى رِبَاطٍ وهو جمع الجمع، / فمعنى الرباط هاهنا، الْخَيْلُ الْمَرْبُوطُ فِي سَبِيلِ اللَّه، وَفُسِّرَ بِالْإِنَاثِ لِأَنَّهَا أَوْلَى مَا يُرْبَطُ لِتَنَاسُلِهَا وَنَمَائِهَا بِأَوْلَادِهَا، فَارْتِبَاطُهَا أَوْلَى مِنَ ارْتِبَاطِ الْفُحُولِ، هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ.

وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: بَلْ حَمْلُ هَذَا اللَّفْظِ عَلَى الْفُحُولِ أَوْلَى، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ الْمُحَارَبَةُ عَلَيْهَا، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْفُحُولَ أَقْوَى عَلَى الْكَرِّ وَالْفَرِّ وَالْعَدْوِ، فَكَانَتِ الْمُحَارَبَةُ عَلَيْهَا أَسْهَلَ، فَوَجَبَ تَخْصِيصُ هَذَا اللَّفْظِ بِهَا، وَلَمَّا وَقَعَ التَّعَارُضُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ وَجَبَ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى مَفْهُومِهِ الْأَصْلِيِّ، وَهُوَ كَوْنُهُ خَيْلًا مَرْبُوطًا، سَوَاءٌ كَانَ مِنَ الْفُحُولِ أَوْ مِنَ الْإِنَاثِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ مَا لِأَجْلِهِ أَمَرَ بِإِعْدَادِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. فَقَالَ: تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ إِذَا عَلِمُوا كَوْنَ الْمُسْلِمِينَ مُتَأَهِّبِينَ لِلْجِهَادِ وَمُسْتَعِدِّينَ لَهُ مُسْتَكْمِلِينَ لِجَمِيعِ الْأَسْلِحَةِ وَالْآلَاتِ خَافُوهُمْ، وَذَلِكَ الْخَوْفُ يُفِيدُ أُمُورًا كَثِيرَةً: أَوَّلُهَا: أَنَّهُمْ لَا يَقْصِدُونَ دُخُولَ دَارِ الْإِسْلَامِ.

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ إِذَا اشْتَدَّ خَوْفُهُمْ فَرُبَّمَا الْتَزَمُوا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ جِزْيَةً. وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ رُبَّمَا صَارَ ذَلِكَ دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ. وَرَابِعُهَا: أَنَّهُمْ لَا يُعِينُونَ سَائِرَ الْكُفَّارِ. وَخَامِسُهَا: أَنْ يَصِيرَ ذَلِكَ سَبَبًا لِمَزِيدِ الزِّينَةِ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ، وَالْمُرَادُ أَنَّ تَكْثِيرَ آلَاتِ الْجِهَادِ وَأَدَوَاتِهَا مما يدل على اهمية القوة والترغيب فيها في دين الاسلام.

القوة او السلطان الذان حُمِدَا في القرآن الكريم

- **القوة والشدة في عبادة الله قال سبحانه:**

قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[1]، فالله سبحانه يحب القوة في العبادة الموافقة لما جاء به نبيه والشدة في

(١) سورة: البقرة، الاية: ٢٠٠.

التَّلَــهُّجِ بذكره وخصوصا في مواطن مخصوصة وعبادات معينة، قال ابن ابي زمنين المالكي: ((**{فَإِذا قضيتم مَنَاسِككُم} قَالَ السّديّ: يَعْنِي: إِذا فَرَغْتُمْ من مَنَاسِككُم {فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُم أَو أَشد ذكرا} قَالَ قَتَادَة: كَانَ أهل الْجَاهِلِيَّة؛ إِذا قضوا مناسكهم، ذكرُوا آبَاءَهُم وَفعل آبَائِهِم؛ بذلك يخْطب خطيبهم إِذا خطب، وَبِه يحدث محدثهم إِذا حدث، فَأَمرهمْ اللَّه - عز وَجل - إِذا قضوا مناسكم أَن يذكروه كذكرهم آبَاءَهُم، أَو أَشد ذكرا؛ يَعْنِي بل أَشد ذِكْرًا. {فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ} أَي: من نصيب؛ وهم الْمُشْرِكُونَ، لَيْسَ لَهُم همة إِلَّا الدُّنيا، لَا يسْأَلُون اللَّه شَيْئا إِلَّا لَهَا؛ وَذَلِكَ أَنهم لَا يقرونَ بِالآخِرَة وَلَا يُؤمنُونَ بهَا.**))[1]، وذلك لأن ذكره سبحانه يثبت الانسان في مواطن الخوف والهلع ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2] وما هذا الامر الالهي إلا لأن ذِكْرَ المولى يثبت القلوب ويزيدها طمأنينة بصدق قضيتها ألا وهي التوحيد، قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[3].

المبحث الرابع

نماذج من انواع القوة والسلطان التي تصبح نقمة او نعمة في القران الكريم

أ- اذا صارت للانتقام والتجبر

قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[4]،

(١) تفسير القرآن العزيز، ١/ ٢١١.

(٢) سورة: الانفال، الاية: ٤٥.

(٣) سورة: الرعد، الاية: ٢٨.

(٤) سورة: القصص، الاية: ١٩.

قيل ان موسى عليه السلام همَّ بالبطش حتى فشت عليه قصته الواقعة بالأمس عندما قتل القبطي حتى احتاج إلى الهرب، وقوله تعالى: {**إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ**} أي: ما تريد إلا أن تكون جبارًا، ومعناها قتالًا بالظلم والجبار في اللغة: المتعظم الذي لا يتواضع لأمر، وهذا القول قاله لموسى الاسرائيلي لما ظن ان موسى سيقتله لما قال له انك لغوي مبين(١).

بـــ- اذا صارت سببا للوقوع في الفجور والمعاصي

ان القوة اذا ماصارت مدعاة للسقوط في الذنب والفاحشة وجب التخلص منها بالطرق المشروعة التي لا تضر بالمسلم وانما تؤدي الى تقليل تلك القوة المفرطة وتحجيمها ومثال ذلك القوة الجنسية المفرطة اذا كانت عند انسان مسلم فان النبي يأمره بالزواج كي ما يؤدي الى تكثير نسل المسلمين والذي هو سبب للقوة كما مر بنا في مباحث سابقة لنصرة الامة والدين ولِمَنَعَتِها من عدوها حيث يقول في هذا النبي ((**كَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ ، وَيَنْهَى عَنِ التَّبَتُّلِ نَهْيًا شَدِيدًا، وَيَقُولُ: تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))(٢)، والا فان نبي الله امر بما يؤدي الى مصلحة اخرى وهي مصلحة تعلم الصبر على المشاق وتحمل القسوة اعدادا للنفس لمرحة لا حقة وتقنينة وتخزينا لهذه الطاقة الكامنة والعنفوان الملتهب الى ان يحين حينها فقال: ((**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**))(٣).

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـــ)، ج١٧، ٣٦٢.

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٢١/ ٤٣١.

(٣) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٧/ ٢٥٨.

تهديد الله لمن كلَّفهم بحمل الرسالة باهل القوة وفيه مسألتان

مسألة: تهديد الله سبحانه لبني اسرائيل نتيجة افسادهم في الارض

قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾(١).

وكان ذلك لما ضل بنوا اسرائيل وقتلوا الانبياء سخط الله عليهم فهددهم سبحانه بقوم أولي بأس شديد يسبونهم ويأخذون اموالهم وزينة بيت المقدس من ايديهم لأنهم لم يكونوا اهلا له وتكرر عليهم السبي والقتل مرات كثيرة على ايدي ملوك الفرس مثل سابور ذو الاكتاف وبختنصر وابطيانحوس وغـــرهم من ملوك الفرس والروم مئات السنين(٢).

مسألة تهديد الله للاعـــراب بقـــوم شجعان عقوبة للاعراب نتيجة تخلفهم ونفاقهم

قال سبحانه: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٣).

قال العلماء والمفسرون: **((﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الاعراب﴾ كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في الذم وإشعاراً بشناعة التخلف ﴿سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ذوي نجدة وشدة قوية في الحرب..... وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: البآرز يعني الأكراد كما في «الدر المنثور»))**(٤)، وقال ابن كثير: **((قوله تعالى " ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد " قال هم البارزون..... قال هم البارزون يعني الاكراد وقوله تعالى " تقاتلونهم أو يسلمون "**

---

(١) سورة: الاسراء. الاية: ٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧/ ٣٥٧- ٣٥٨.

(٣) سورة: الفتح، الاية: ١٦.

(٤) تفسير القرآن، ١٠/٣٣٠٠ . و فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ٥٢/٥.

يعني شرع لكم جهادهم وقتالهم فلا يزال ذلك مستمرا عليهم ولكم النصرة عليهم أو يسلمون فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار))[١].

القوة التي امر الله المسلمين باتخاذها في العهد المكي

امر الله المؤمنين في مكة بان لا يقاتلوا ولا يستعملوا القوة بل عليهم الصبر والاناة حتى تتم امور كثيرة مهمة لهم في بداية امرهم مع الدين وهم لا يزال ايمانهم خض لم يشتدَّ ولم يفهموا التوحيد ولم يقوى عودهم حتى لا يكون ذلك خطرا عليهم من نواحٍ كثرة منها خوفا من ردة ضعاف النفوس وكذلك حتى تبلغ الدعوة الى الناس وحكم اخرى كثيرة وليقضي الله امرا كان مفعولا، فقال في كتابه العزيز: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾[٢]، فتأويل قوله:"ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم"، ألم تر بقلبك، يا محمد، فتعلم إلى الذين قيل لهم"، من أصحابك حين سألوك أن تسأل ربك أن يفرض عليهم القتال كفوا أيديكم"، فأمسكوها عن قتال المشركين وحربهم وأقيموا الصلاة"، يقول: وأدُّوا الصلاة التي فرضها الله عليكم بحدودها "وآتوا الزكاة"، يقول: وأعطوا الزكاة أهلها الذين جعلها الله لهم من أموالكم، تطهيرًا لأبدانكم وأموالكم، فكانت القوة التي امر الله المؤمنين بها في مكة قوة الصبر وتحمل اذى المشركين[٣].

القوة التي امر الله المسلمين باتخاذها في العهد المدني

لما هاجر المسلمون الى المدينة المنورة اختلف الامر عما كان فامر الله المؤمنين بالشدة والقوة والجلد في امور اخرى لم تكن موجودة في العهد المكي ويمكن اختصار مجمل تلك الامور في هذه الاية الكريمة حيث يقول سبحانه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٣/٢١٠.

(٢) سورة: النساء، الاية: ٧٧.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٨/ ٥٤٧.

وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[1]، حيث امر الله المومنين بالمؤاخاة فيما بينهم بقوة والتراحم بين المسلمينوالالتفاف حول قيادة النبي التي صارت قيادة سياسية منضافة الى القيادة الدينة التي كانت في مكة، وامرهم الله بالدعوة باللسان والسنان حيث قد استوى نبت الاسلام على سوقه واصبح غليظ الساق قويا لا يخشى عليه.

القوة التي امر الله المسلمين باتخاذها عند فتح مكة وما ماثلها من بلدان

وعند فتح مكة اختلفت دواعي الحكمة في اتخاذ نوع القوة حيث ان الكفار الذي كانوا عتاة معاندين صاروا اذلة ضعافا، والاسلام لم يأتي ليقتل الناس لمجرد القتل وانما جاء الاسلام لينقذ الناس من العذاب الاليم عذاب الاخرة، فتطلب الى الدعوة الى نوع ءاخر من القوة ألا وهي قوة الصفح التسامح وترك ثارات ما قبل الاسلام، فقد ورد: **((أَنَّ سَعْدًا قَالَ الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمُ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا... وَقَدْ رَوَى الْأُمَوِيُّ فِي الْمَغَازِي أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَاذَاهُ أُمِرْتُ بِقَتْلِ قَوْمِكَ قَالَ لَا فَذَكَرَ لَهُ مَا قَالَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ثُمَّ نَاشَدَهُ اللَّهَ وَالرَّحِمَ فَقَالَ يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ الْيَوْمُ يَعِزُّ اللَّهُ قُرَيْشًا وَأَرْسَلَ إِلَى سَعْدٍ فَأَخَذَ الرَّايَةَ مِنْهُ فَدَفَعَهَا إِلَى ابْنِه قيس))**[2].

(١) سورة: الفتح، الاية: ٢٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٨/ ص٨-ص٩.

بـــ – قوة وسلطان الصلة بالله

قال سبحانه: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[1] فكلما كان المرء قريب الصلة بالقوي العزيز كلما ازداد استمداده القوة من العزيز الجبار.

ان لله عباد اختارهم واصطفاهم وجَعَلَهُمْ صَفْوَةَ خَلْقِهِ كالشَّيْءِ الَّذِي يُصَفَّى وَيُنَقَّى مِنَ الْكُدُورَةِ، وَيُقَالُ هم عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: صَفْوَةٌ، وَصُفْوَةٌ وَصِفْوَةٌ، وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ لِمُوسَى ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾[2] وَقَالَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾[3].

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ فِي الْآيَةِ قَوْلَانِ الْأَوَّلُ: الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَى دِينَ آدَمَ وَدِينَ نُوحٍ فَيَكُونُ الِاصْطِفَاءُ رَاجِعًا إِلَى دِينِهِمْ وَشَرْعِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ، وَيَكُونُ هَذَا الْمَعْنَى عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُمْ، أَيْ صَفَّاهُمْ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ، وَزَيَّنَهُمْ بِالْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ، وَهَذَا الْقَوْلُ أَوْلَى لِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنَّا لَا نَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْإِضْمَارِ وَالثَّانِي: أَنَّهُ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[4] وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومن ثَم المؤمنون الصادقون لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونُوا مُخَالِفِينَ لِغَيْرِهِمْ فِي الْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةِ، وَالْقُوَى الرُّوحَانِيَّةِ، أَمَّا الْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةُ، فَهِيَ إِمَّا مُدْرِكَةٌ، وَإِمَّا مُحَرِّكَةٌ.

أَمَّا الْمُدْرِكَةُ: فَهِيَ إِمَّا الْحَوَاسُّ الظَّاهِرَةُ، وَإِمَّا الْحَوَاسُّ الْبَاطِنَةُ، أَمَّا الْحَوَاسُّ الظَّاهِرَةُ فَهِيَ خَمْسَةٌ أَحَدُهَا: الْقُوَّةُ الْبَاصِرَةُ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْصُوصًا بِكَمَالِ هَذِهِ الصِّفَةِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ ووجهان الْأَوَّلُ:

---

(١) سورة: النمل، الايات: ٣٩-٤٠.

(٢) سورة: الاعراف، الاية: ١٤٤.

(٣) سورة: ص، الاية: ٧٤.

(٤) سورة: الانعام، الاية: ١٢٤.

قَوْلُهُ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: ((**زُوِيَتْ لِيَ الْأَرْضُ فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا**))(١).
وَالثَّانِي: قَوْل النبي ﷺ: ((**أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي**))(٢).

وَنَظِيرُ هَذِهِ الْقُوَّةِ مَا حَصَلَ لِإِبْرَاهِيمَ ﷺ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ** ﴾(٣)، وقد ذُكِرَ فِي تَفْسِيرِها أَنَّهُ تَعَالَى قَوَّى بَصَرَهُ حَتَّى شَاهَدَ جَمِيعَ الْمَلَكُوتِ مِنَ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِ وَهَذَا غَيْرُ مُسْتَبْعَدٍ لِأَنَّ الْبُصَرَاءَ يَتَفَاوَتُونَ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ بَصَرُ النَّبِيِّ أَقْوَى مِنْ بَصَرِ الانسان العادي.
وَثَانِيهَا: الْقُوَّةُ السَّامِعَةُ، وَكَانَ النبي ﷺ أقوى الناس فِي هَذِهِ الْقُوَّةِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا:
قَوْلُه ﷺ: ((**أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لِلَّهِ تَعَالَى**))(٤) فسَمِعَ أَطِيطَ السَّمَاءِ.
والوجه الثَّانِي: أَنَّهُ سَمِعَ دَوِيًّا وَذَكَرَ أَنَّهُ هُوِيُّ صَخْرَةٍ قُذِفَتْ فِي جَهَنَّمَ فَلَمْ تَبْلُغْ قَعْرَهَا إِلَى الْآنِ، وَنَظِيرُ هَذِهِ الْقُوَّةِ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السلام في قصة النَّمْلِ ﴿ **قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ** ﴾(٥) فَاللَّهُ تَعَالَى أَسْمَعَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ وَأَوْقَفَهُ عَلَى مَعْنَاهُ وَهَذَا دَاخِلٌ أَيْضًا فِي بَابِ تَقْوِيَةِ الْفَهْمِ، وَكَانَ ذَلِكَ حَاصِلًا لنبيه محمد حِينَ تَكَلَّمَ مَعَ الذِّئْبِ وَمَعَ الْبَعِيرِ.

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/٢٩٢.
(٢) مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي، ١/ ٢٣٠.
(٣) سورة: الانعام، الاية: ٧٥.
(٤) سنن الترمذي، ٤/ ٥٥٦.
(٥) سورة: النمل، الاية: ١٢.

ثَالِثُهَا: تَقْوِيَةُ قُوَّةِ الشَّمِّ، كَمَا فِي حَقِّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَمَرَ بِحَمْلِ قَمِيصِهِ إِلَيْهِ وَإِلْقَائِهِ عَلَى وَجْهِهِ، فَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ يَعْقُوبُ ﴿ **إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ** ﴾[1] فَأَحَسَّ بِهَا مِنْ مَسِيرَةِ أَيَّامٍ.

وَرَابِعُهَا: تَقْوِيَةُ قُوَّةِ الذَّوْقِ، كَمَا فِي حَقِّ رَسُولِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ: ((**إِنَّ هَذَا الذِّرَاعَ يُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ**)).

وخَامِسُهَا: تَقْوِيَةُ الْقُوَّةِ اللَّامِسَةِ كَمَا فِي حَقِّ الْخَلِيلِ حَيْثُ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِ، فَكَيْفَ يُسْتَبْعَدُ هَذَا وَيُشَاهَدُ مِثْلُهُ فِي السَّمَنْدَلِ وَالنَّعَامَةِ، وَأَمَّا الْحَوَاسُّ الْبَاطِنَةُ فَمِنْهَا قُوَّةُ الْحِفْظِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ** ﴾[2] وَمِنْهَا قُوَّةُ الذَّكَاءِ

وكذلك عُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمِعْرَاجِ، وَعُرُوجِ عِيسَى حَيًّا إِلَى السَّمَاءِ، وَرَفْعِ إِدْرِيسَ وَإِلْيَاسَ عَلَى مَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ.

وَأَمَّا الْقُوَى الرُّوحَانِيَّةُ الْعَقْلِيَّةُ: فَلَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ فِي غَايَةِ الْكَمَالِ، وَنِهَايَةِ الصَّفَاءِ. وَاعْلَمْ أَنَّ تَمَامَ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ النَّفْسَ الْقُدْسِيَّةَ النَّبَوِيَّةَ مُخَالِفَةٌ بِمَاهِيَّتِهَا لِسَائِرِ النُّفُوسِ، وَمِنْ لَوَازِمِ تِلْكَ النَّفْسِ الْكَمَالُ فِي الذَّكَاءِ، وَالْفِطْنَةِ، وَالْحُرِّيَّةِ، وَالِاسْتِعْلَاءُ، وَالتَّرَفُّعُ عَنِ الْجِسْمَانِيَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَإِذَا كَانَتِ الرُّوحُ فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ وَالشَّرَفِ، وَكَانَ الْبَدَنُ فِي غَايَةِ النقاء والطهارة كانت هذه القوى المحركة والمدركة فِي غَايَةِ الْكَمَالِ لِأَنَّهَا جَارِيَةٌ مَجْرَى أَنْوَارٍ فَائِضَةٍ مِنْ جَوْهَرِ الرُّوحِ وَاصِلَةٌ إِلَى الْبَدَنِ، وَمَتَى كَانَ الْفَاعِلُ وَالْقَابِلُ فِي غَايَةِ الْكَمَالِ كَانَتِ الْآثَارُ فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَالشَّرَفِ وَالصَّفَاءِ.

جـ - المال والبنون:

قال سبحانه: ﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا** ﴾[3]، فبعد ان يرسل الله عباداً شديدي البأس فيفتكون ببني اسرائيل، يبشر

(١) سورة: يوسف، الاية: ٩٤.

(٢) سورة: الاعلى، الاية: ٦.

(٣) سورة: الاسراء. الاية: ٥.

الله بني اسرائيل بمدد من المال والبنين لترجح كفتهم على كفّة عدوهم فيصرح سبحانه ان الامداد بالمال والبنين ردٌّ للكَرَّة على العدو وتساوٍ او رجحان على العدو القوي، قال ابو الحسن النيسابوري: **((وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، قال أبو عبيدة: النفير: العدد من الرجال وقال الزجاج: أي جعلناكم أكثر منهم نُصَّارًا))**(١).

وكذلك وعد نوح عليه السلام قومه بمدد القوة بالمال والبنين فقال: ﴿ **وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا** ﴾(٢)، قال الطبري رحمه الله: **((خرج عمر بن الخطاب يستسقي، فما زاد على الاستغفار، ثم رجع فقالوا: يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت، فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) وقرأ الآية التي في سورة هود حتى بلغ: (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) . . . وقوله: (وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) يقول: ويعطكم مع ذلك ربكم أموالا وبنين، فيكثرها عندكم ويزيد فيما عندكم منها . . . وقال ذلك لهم نوح، لأنهم كانوا فيما ذُكر قوم يحبون الأموال والأولاد))**(٣).

ء – نزول الغيث

يبين سبحانه على لسان نبيه هود ان نزول المطر والغيث نوع من القوة يزيد اهل تلك الارض منعة فقال سبحانه: ﴿ **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ** ﴾(٤).

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط، ١٣/ ٢٥٩.

(٢) سورة: نوح، الاية: ١١.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٣/ ٦٣٣.

(٤) سورة: هود، الاية: ٥٢.

ملخص البحث

القوة والسلطان عضيدان يعضد احدهما الاخر وقد ورد ذكرهما في القران للدلالة عن التمكن والقهر سواء بالقوة البدنية الموهوبة من الله تعالى او بالحجة والبرهان فمن قَوِيَ سلطان حجته كان موقفه قوياً ومن زاده الله تعالى بسطة في الجسم فذلك القوي، وللقوة والسلطان اسباب متعددة ومصادر كثيرة ومن القوة والسلطان ماهو محمود وهناك ماهو متقدم ولكل منهما وجهته والقارئ لهذا البحث يجد هذه المضامين فيه.

الخاتمة

بعد انجاز البحث ظهرت لنا النتائج الاتية:

١. ان القران الكريم اعطى للقوة والسلطان مكانة كبيرة ولكنه اسندها الى الله تعالى او من اعطاه الله القوة والسلطان.
٢. ان القوة والسلطان انواع متعددة منها القوة الالهية ومنها القوة البشرية الممنوحة من الله تعالى وكذا السلطان.
٣. ان للقوة والسلطان كلمات قربت في معانيها منهما ولكنها اختصت بمعان اكثر دقة.
٤. ان القوة والسلطان قد تكون نعمة على البشر وقد تكون نقمة عليه وبناء على ذلك يجرى حساب الله تعالى على كيفية استخدامهما.

التوصيات

١. تشجيع طلبة الدراسات العليا على دراسة موضوع القوة والسلطان مرتبطين دراسة موضوعية في مجال علم التفسير.
٢. تشجيع طلبة الدراسات العليا على دراسة ايات القوة والسلطان دراسة تحليلية لما فيها من معانٍ والتفاتات لغوية وبلاغية وصرفية كثيرة.
٣. تدريب طلبة الدراسات الاولية على الفهم الموضوعي والفهم التحليلي لايات من القران الكريم ليكون ذلك مدخلاً لهم اذا فتح الله عليهم واكملوا دراستهم العليا.

والله الموفق

مظان البحث

- (الصحاح) تاج اللغة وصحاح العربية، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) تحقيق احمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين سنط ١٩٨٧م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) تونس دار سمتون للنشر.
- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) تحقيق عبدالرحمن المرعشلي بيروت جار النفائس الطبعة ٢ سنط ٢٠٠٧م.
- التفسير البسيط، ابو الحسن علي بن احمد النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) اصل تحقيقه في (١٥) اطروحة دكتوراه، نشرته عادة البحث العلمي جامعة الاية محمد بن سنود.
- تفسير القران العزيز، ابو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن ابي زمنين المالكي (ت٣٩٩هـ) تحقيق حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكثر، دار الانوار جدة سنة ١٩٩٩.
- تفسير القران العظيم لابن ابي حاتم عبدالرحمن بن محمد الرازي (ت٣٢٧هـ) تحقيق اسعد محمد الخطيب بيروت ط١.
- التفسير الوسيط للقران الكريم مجموعة من العلماء باشراف مجمع البحوث الاسلامية في الازهر ط١ القاهرة.
- تفسير مجاهد ابو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي (ت ١٠٤هـ) تحقيق د. محمد عبدالسلام ابو النيل، دار الفكر الاسلامي الحديثةط١ سنط ١٩٨٩م.
- تهذيب اللغة، ابو منصور محمد بن احمد الازهري (ت ٣٧٠هـ) تحقيق عبدالسلام هارون وآخرون، بيروت ١٩٩٥م.
- جامع البيان في تأويل اي القران، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) تحقيق احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط سنط ٢٠٠٠م.
- الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، صهيب عبدالجبار، بيروت سنة ٢٠٠٢م.

- درج الدرر في تفسير الآي والسور، عبد القاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ) تحقيق وليد بن احمد الحسين، اياد عبداللطيف القيسي اصدارات الحكمة (٢٢) سنط ٢٠٠٨م ط١ المدينة المنورة.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سودة الترمذي (ت٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق احمد محمد شاكر واخرون سنط ١٩٨٥ بيروت.
- سنن ان ماجة، ابن ماجة المؤسسة العلمية دمشق ١٩٩٢م ط الاولى وطبعة بيروت تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي بيروت دار الفكر.
- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الدين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) تحقيق خالد ن عثمان، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع مكة المكرمة ط٢ سنة ١٤٢٦هـ
- غريب التفسير وعجائب التأويل، محمد بن حمزة الكرماني (ت٥٠٥هـ) دار القبلة جدة.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، رئيس ابوابه واحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي، دار ابن كثير دمشق. د.ت
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار القبلة مكة المكرمة ٢٠٠٥.
- الكشف والبيان من تفسير القران، احمد بن محمد الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) تحقيق محمد بن عاشور، دار احياء التراث العري بيروت ط سنة ٢٠٠٢م.
- الكليات ايوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤) تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري بيروت مؤسسة الرسالة سنط ١٩٩٨م.
- لسان العرب، ابن منظور جمال الدين بن محمد الافريقي (ت٧١١هـ) دار صادر سنط ١٩٩٤م.
- مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، دار القلم ط٣ سنط ٢٠٠٠م.
- مجمل اللغة، احمد بن حبيب الرازي المعروف بابن فارس (ت٣٩٥هـ) تحقيق زهير عبد الحسن سلطان الطبعة الاولى طبع على حساب وزارة الاوقاف بغداد .

- مختار محمد بن ابي بكر الرازي (ت٦٦٦هـ) دار الرسالة الكويت سنط ١٩٨٣.
- مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار الرشاد بيروت.
- مختصر صحيح الامام البخاري ابو عبدالرحمن محمد ناصر الالباني، بيروت ١٩٩٨م.
- المخصص، ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة (ت٤٥٨هـ) تحقيق خليل ابراهيم جمال، بيروت سنة ١٩٩٦م.
- معاني القران، لابي جعفر النحاس، تحقيق د. يحيى مراد، دار الحديث القاهرة سنط ٢٠٠٤م.
- مفردات الفاظ القران، الراغب الاصفهاني (ت٤٢٥هـ) تحقيق صفوان عدنان داوودي طبعة مصورة على اصل مطبوع في دمشق.
- مقاييس اللغة، احمد بن حبيب الرازي المعروف بابن فارس (ت ٣٩٥هـ) بيروت دار الجيل ط الاول سنظ ١٩٩١م.
- منهجية البحث في التفسير الموضوعي (مؤتمر التفسير الموضوعي جامعة الشارقة) د. زياد الدغاين.
- نشأت اصطلاحات العلوم والفنون محمد علي النهانوي تحقيق د. علي دحروج، بيروت ط الاولى سنة ١٩٩٦.